

أضواء البيان

@ 9 @ والضمير في قوله { أَنْ اِقْدِ فِيهِ } راجع إلى موسى بلا خلاف . وأما الضمير في قوله { فَاقْدِ فِيهِ فِي الْيَمِّ } وقوله { فَلَا يُلَاقِيهِ } فقليل : راجع إلى التابوت . والصواب رجوعه إلى موسى في داخل التابوت ، لأن تفريق الضمائر غير حسن ، وقوله { يَا خُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَكَ } هو فرعون ، وصيغة الأمر في قوله { فَلَا يُلَاقِيهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ } فيها وجهان معروفان عند العلماء : . أحدهما أن صيغة الأمر معناها الخبر ، قال أبو حيان في البحر المحيط : و { فَلَا يُلَاقِيهِ } { أمر معناه الخبر ، وجاء بصيغة الأمر مبالغة ، إذا الأمر أقطع الأفعال وأوجبها . الوجه الثاني أن صيغة الأمر في قوله { فَلَا يُلَاقِيهِ } أريد بها الأمر الكوفي القدري ، كقوله { إِنَّ زَمَّآ أَمْرُهُ إِذْ أَرَآدَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ } فالبحر لا بد أن يلقيه بالساحل ، لأن [] أمره بذلك كوفياً وقدرأً . وقد قدمنا ما يشبه هذين الوجهين في الكلام على قوله تعالى : { فَلَا يَمْدُدُ لَهُ الرِّجْمَانُ مَدًّا } .

وما ذكره جل وعلا في هذه الآيات أوضحه في غير هذا الموضع ، كقوله في (القصص) : { وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مَرْيَمَ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا ذَا خِفْتِ عَلَايَهُ فَأَلْطِئِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا نَرَا رِآدٌ وَسُوهُ إِلَىٰكَ وَجَاءَ لُؤْلُؤُهُ مِنَ الْأُمْرُسَلِينَ فَالْتَفَطَّهُ الْعَالُ فِرْعَوْنُ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا } وقد بين تعالى شدة جزع أمه عليه لما ألقته في البحر ، وألقاه اليم بالساحل ، وأخذه عدوه فرعون في قوله تعالى : { وَأَصْحَابِ } .